

وبالتأكيد، فإنّ الحل النهائي لهذه المشكلة يتوقّف على سيطرته على إدمانه، لذا نأمل أن يتّبع الخطوات المخصّصة في هذا الكتاب، وإن استدعت الضرورة أن يستشير شخصاً متخصصاً.

حالات الإدمان بين المراهقين

يكون السؤال عن كيفية التعامل مع فرد يعاني الإدمان في العائلة معقّداً، ولا سيّما إذا كان ذلك الفرد مراهقاً - يبلغ من العمر أقل من عشرين عاماً - على الرغم من أنّ بعض الشباب يظلّون عاطفيين في سن المراهقة إلى أكثر من عشرين عاماً. إليكم الآن هذه الحالة التي تظهر صورة عامّة:

جين

كان والدا جين في أضعف حالات ذكائهما عندما يتعلّق الأمر بالتعامل مع سلوك ابنتهما المراهقة المأساوي. كانت جين قد غادرت المنزل، وعاشت في مدينة أخرى من دون وظيفة، وكانت تتّصل بالمنزل عندما تتوافر لها بعض النقود التي كان الوالدان يرسلانها لها غالباً، كونها أخبرتهما بصدق: إنّها ستكون مشرّدة دون مزيد من الدعم المالي، لكنّهما كانا يعلمان أنّها تستعمل كثيراً من ذلك المال إن لم يكن كلّها؛ لشراء مزيد من المخدّرات، ومثلما ذكرت في المثال السابق في هذا الفصل، فإنّ والديها تلقّيا النصح من الأصدقاء وبعض المستشارين، في أنّهما إن استمرّا بإرسال النقود، فإنّهما يساعدانها على تعاطي المخدّرات. وقد قال أحدهم إنّه سيكون ذنبهما إن ماتت بسبب جرعة مفرطة من المخدّرات، كونهما يزودانها بالنقود لتشتريها. فما الذي يجب عليهما فعله؟ مثلما هي الحال دائماً، فإنّ قراراً مثل هذا يجب أن يتّخذ بتروؤ وتأنّ، اعتماداً على موقف الفرد. فمن الخطأ بمكان أن نتّبع أيّ قاعدة عامّة كالحاجة إلى التعامل بقسوة، أو عدم التمكين.

إنّ الهدف هو القيام بما من شأنه أن يكون أكثر عوناً للمراهق ووالديه. ولحسن الحظ، فإنّ الأفضل للمراهق يكون هو نفسه الأفضل للوالدين، لسبب بسيط؛ هو أنّهما يحبّان طفلهما. إنّ هذا الجزء من اتّخاذ القرار هنا، هو نفسه في حالة البالغين، وإنّ الذي يميّز المراهقين هنا، هو أنّهم ما زالوا في طور النمو، ومثلما يعلم الجميع، فإنّ النمو عند المراهقين يترافق مع الاضطراب والضيق لكل من المراهق ومن حوله. وعندما يواجه ابنك مشكلة خلال هذه المرحلة الصعبة والحرّة، فإنّ الأولوية تكون بضمان اجتياز مراهقته وصولاً إلى البلوغ، حيث يتمتّع عندئذ بعقلانية وثبات، وقدرة أكبر على الحكم على الأمور.

إن هذا العامل، يوجّه القرارات في التعامل مع الابن ومع إدمانه أو إدمانها، نحو تقديم مزيد من الدعم - مادياً وعاطفياً - أكثر ممّا تكون فيه الأمور في حالة البالغ.

لقد عاشت جين في مدينة، وكان تواصل أهلها معها محدوداً، إلا إذا احتاجت إلى النقود. وفي ظل هذه الظروف، فإنّ الحل المنطقي يكون بأن يخبرها بأنّها سيزودها بالنقود اللازمة لإبقائها بعيدة عن النوم في الشارع، ولكنّها سيرسلان النقود مباشرة إلى صاحب المنزل، وعليها أن تكشف عن عنوانها. وستُرسَل نقود الطعام والقليل من المصاريف إليها مباشرة؛ شرط أن تلتزم بالعلاج مع شخص في مدينتها، حيث ستُرسَل نفقات العلاج إليه مباشرة. هذا الحل بالتأكيد ليس حلاً سهلاً، لأنّها ستظل تنفق بعض النقود على شراء المخدّرات، وستتخلّف عن برنامج المعالجة، وتستطيع إيجاد مزيد من الأزمات؛ كي تطلب مزيداً من والديها للمساعدة الطارئة. فهل عليهما تزويدها بما تطلب؟ نعم، للسبب الذي ذكرته سابقاً. فمن الأفضل التلاعب بك أو الكذب عليك أو استغلالك، من أن يموت طفلك أو يصاب بجرح بليغ. وباتّخاذ هذه القرارات، من المهم أن نتذكّر أنّ أشخاصاً مثل جين ماهرون جدّاً في الحصول على المخدّرات.

حتى إن لم تكن تمتلك النقود لشراء المخدرات، وكانت تنام في الشارع، فمن المرجح جداً أن تجد المخدرات بوسائل أخرى، وأن تعاني العواقب المترتبة على ذلك. ولما كان تمكين الناس أو عدم تمكينهم لا يغيّر في دافعهم الإدماني؛ فمن غير المنطقي أن نفترض أنه بحجب الدعم عن الابن فإنك ستحسّن من إدمانه أو إدمانها. وعليه فإن أفضل شيء يمكنك عمله على الرغم من صعوبته، هو أن تعدّ ما لديك من متطلبات ولا سيّما ربط استلام المساعدة ببدء علاج الإدمان والاستمرار فيه، والتطلّع إلى اليوم الذي تنتهي فيه مراهقة ابنك.

هناك نقطة مهمّة أخرى، وهي أنّه عندما تظهر على ابنك علامات الضيق والقلق مثل جين، فمن المهم جداً البحث عن استشارة نفسية متخصصة. فإذا كان الإدمان مرتبطاً باضطراب عقلي كبير، فعليك أنت وابنك المدمن أن تعرفا ذلك؛ حيث إن معالجة الاضطراب العقلي هنا هو أهم الأولويات، وإنّ تقويم الحالة سيزوّدنا بالمعلومات الضرورية عن احتمال إيذاء الطفل نفسه عمداً.

أثر إدمان الوالدين في الأطفال

مثلاً يعلم الجميع، فإنّ مقدرة الطفل على إدراك ما يدور من حوله تتطوّر مع نموّه، وكذلك قدرته على تحديد مشاعره الذاتية وفهمها أيضاً. إنّ الأثر العاطفي لإدمان أحد أفراد العائلة في الأطفال الصغار، سيعتمد على كلّ من عمر الطفل، والطرائق العملية التي تتأثر فيها حياة الطفل بالإدمان.